Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 1, 2024

Deanship of Scientific Research

The Authority of Desert People in Classical Grammarians' Studies

Eiad Fathi Al -Osaily*[1], ***Moath Haza' Alzu'bi***[1], ***Sanaa Kamel Shalan***[1], ***Ahmad Saleh Talafha***[2]

[1] Department of Arabic Language and Literature, School of Arts, The University of Jordan, Amman, Jordan.

[2] Department of Basic Sciences and Humanities, College of Arts and Sciences, Amman Arab University, Amman, Jordan

Received: 12/9/2022
Revised: 19/12/2022
Accepted: 24/01/2023
Published: 30/1/2024

* *Corresponding author:*
idzbh@yahoo.com

Citation: Al-Osaily, E. F., Alzu'bi, M. H., Shalan, S. K., & Talafha, A. S. (2024). The Authority of Desert People in Classical Grammarians' Studies. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(1), 430–438.
https://doi.org/10.35516/hum.v51i1.1994

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research explores how classical grammarians drew upon desert people's speech traditions to establish grammatical rules, emphasizing the significance of this linguistic reference in terms of matrix, essence, and objective. The study examines the phenomenon of citing and occasionally challenging desert people's speech, leading to an exploration of the grammarians' divided perspectives, particularly regarding its origins.

Methods: The study investigated desert people's traits mentioned in the Arabic tradition, weighing the contradictions. It also referred to grammarians' methods of citing desert people following the contextual analysis approach.

Results: The study suggests that Arabic tradition indulgently overlooked the difference between desert people and Bedouins. It distinguishes the two and presents evidence to establish the differences. It holds that the grammarians' communication with desert people, for what they believed to be of benefit for their studies, is a practice common among Basra's grammarians and linguists of the fourth class, suggesting that likelihood that they started the practice. It demonstrates that classical grammarians, regardless of their approaches to citing, or sometimes denying, desert people's speech, limited themselves to it, hence developing their linguistic schools and methods.

Conclusions: This study challenges the equivalence of "desert people" and "Bedouins," highlighting historical distinctions. It asserts that classical grammarians employed specific criteria when referencing desert people's speech: if it aligned with their approaches, it served as a model; otherwise, they deemed it weak evidence. It concludes by noting the heightened status of desert people post-Quran, with some scholars emulating them to be recognized as a "desert person."

Keywords: Desert people, classical grammarians, bases of syntax.

حُجّيّة الأعراب في أعمال النّحاة الأوائل

إياد فتحي العسيلي*[1]، ***معاذ هزاع الزعبي***[1]، ***سناء كامل شعلان***[1]، ***أحمد صالح طلافحة***[2]

[1] قسم اللغة العربيّةوآدابها، كليّة الآداب، الجامعة الأردنيّة، عمّان، الأردنّ.

[2] *قسم العلوم الأساسية: العلمية والإنسانية*، كلية الآداب والعلوم، جامعة عمّان العربيّة، عمّان، الأردنّ.

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى استجلاء مذاهب النّحاة القدماء في الاحتجاج بالأعراب؛ بوصفهم مَوردًا من موارد العربيّة الّتي اتّكأ عليها النّحاة في تقعيد اللّغة، قاصدًا إلى بيان حاجة النّحاة العرب إلى الأعراب؛ مصدرِ هذه الحاجةِ وماهيّتها وغايتها، فعرضَ البحثُ لظاهرة توثيق الأعراب وتضعيفهم في أصل نشأتها، والخلاف الّذي وقع بين النّحاة في ذلك.

المنهجيّة: استقصى البحثُ النّصوصَ المُبِينَةَ عن صفةِ الأعراب في تراث العربيّة، ووازنَ بين المتعارض منها، كما وقف على مذاهب النّحاةِ القدماء في الاحتجاج بالأعراب، مستضيئًا بالمنهج السّياقيّ التّحليليّ.

النتائج: رجّحَ البحثُ أنّ مصادرَ العربيّة استسهلَتْ إذْ قضَتْ بالمكافأة بين الأعرابيّ والبدويّ؛ فمازَ بينهما، وأقام الأدلّة على ذلك، كما ذهب إلى أنّ مخالطةَ العلماء للأعراب طلبًا لما عندَهم كانت في الطّبقة الرّابعة من طبقات النّحويّين واللّغويّين البصريّين، مرجّحًا أنّها بدأت بهم. وقد دلّلَ البحثُ على أنّ النّحاةَ الأوائل، على اختلاف مذاهبهم في الاحتجاج بالأعراب، قد حكّموا أنفسَهم فيما يَرِد على لسان الأعراب، وأعملوا مذاهبَهم وأقيستَهم الخاصّةَ في توثيق الأعراب وتضعيفِهم.

الخلاصة: ينفي البحثُ المكافأةَ الّتي نُلفيها في معاجم العربيّة وأكثرِ مصادرِها بين الأعرابيّ والبدويّ، ذاهبًا إلى أنّ بعضَ السّياقات التّاريخيّة تقضي بالمَيز بين المصطلحَين. ولقد خلَص البحثُ إلى أنّ النّحاة الأوائل كانوا يفيئون فيما يَرِدُ على لسان الأعراب إلى مذاهبهم في القياس؛ فَما وافقَ مذهبَ النّحويّ في القياس أَخذَ به، وإلّا ردَّ القولَ وضعّفَ صاحبَه. وبيّنَ البحثُ أنّ صفة الأعرابيّ تطوّرتْ بعدَ زمن التّنزيل؛ حتّى بلغَ من مَكانةِ بعض الأعراب أن صارَ بعضُ العلماء يتشبّهُ بهم؛ بغيةَ أن تُلحق به صفةُ الأعرابيّ.

الكلمات الدالة: الأعراب، النّحاة الأوائل، أصول النّحو.

المقدمة

يُعدُّ فصحاء الأعراب مَوردًا من موارد العربيّة الّتي اتّكأ عليها النّحاة في تقعيد اللّغة، وتتأتّى أهمّيّة هؤلاء الأعراب في تقعيد العربيّة من وجهين: أمّا الأوّلُ فأنّ كلامَهم كان جزءًا من المدوَّنة اللّغويّة الّتي جُمعت، واستُنبطت منها قواعد اللّغة. وأمّا الثّاني، وهو الأهمّ، فيتمثّل في أنّ هؤلاءِ الأعرابَ كانوا المورِدَ الحيَّ من موارد العربيّة، بعد أن فسدَت ألسنة النّاس، فقد كان باستطاعة العلماء أن يعودوا إليهم، وأن يختبروا ما تُفضي إليه أصولُ صناعتهم بالاحتكام إلى هؤلاء الأعراب. بيد أنّ أكبر همّ الباحثين كان منصبًّا على جمع أخبار هؤلاء الأعراب، لِما تحمل هذه الأخبارُ من أشعارٍ كانت تجودُ بها قرائحُهم، أو تُعينُهم على روايتِها ذواكِرُهم، ناهيك عمّا حملتْ أخبارُهم من طرائفَ ونوادرَ وبلاغةٍ كانت سمةَ خطاب الفصحاء منهم. ومن أهمّ هذه الدّراسات الّتي صَفَتْ لجمع أخبار هؤلاء الأعراب وتعريف أبرزِهم:

- مهى المبيضين، الأعرابيّ في الأدب العربيّ من الجاهليّة حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري، رسالة دكتوراه، إشراف عفيف عبد الرّحمن، جامعة اليرموك، 2003.

- حسن نمر دندشي، أطياب من كلام الأعراب، جروس برس، طرابلس، 1982.
- عبد الحميد الشلقاني، الأعراب الرّواة، المنشأة العامّة للنّشر والتّوزيع والإعلان، طرابلس- ليبيا، ط2، 1982.
- خليل مردم بك، شعر الأعراب، شرحه وقدّم له عدنان مردم بك، ط1، مؤسّسة الرّسالة، دمشق، 1978.

- خليل مردم بك، كتاب الأعرابيّات، شرحه وقدّم له عدنان مردم بك، ط1، مؤسّسة الرّسالة، دمشق، 1977.

- عبد القادر المغربيّ، فصحاء الأعراب، مجلّة المجمع العلميّ العربيّ، الجزء 3، المجلّد 9، دمشق، كانون الثّاني 1929م، رجب وشعبان 1347هـ، ص140-159.

ولم يكنْ من هدف أيٍّ من هذه الدّراسات أن تبحث في مذاهب علماء العربيّة الأوائل في توثيق هؤلاء الأعراب وعدِّهم أهلَ فصاحة، أو تضعيفِهم وعدم الأخذ بمقولِهم أو مرويّهم، وهو ما تهدف هذه الدّراسة إلى بيانِه وتجلية مطالبه.

أمّا الدّراسات الّتي تعرّضت للاحتجاج بلغة الأعراب في تاريخ النّحو العربيّ فتلك أكثرُ من أن يحيطَ بها حصر؛ إذ ذاك موضوعٌ عامٌّ لا تكاد دراسةٌ عُنيتْ بتاريخ النّحو العربيّ تخلو منه، بيد أنّ أيًّا ممّا أحطنا به منها لم ينهض لدراسة مذاهب النّحاة في الاحتجاج بالأعراب، وهو ما اجتهدتْ هذه الدّراسةُ في تقديم المباحثِ له، للوصول إلى بيانِه، واصطفاء القول عليه.

ومن تلك الدّراسات الّتي عرَضتْ لجمع اللّغة واستشهاد النّحاة واللّغويّين بكلام الأعراب:

- عيد، محمّد، الاستشهاد والاحتجاج باللّغة: رواية اللّغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 1988.
- أحمد، محمّد عبد القادر، ظاهرة جمع اللغة في القرنين الأوّل والثّاني للهجرة، مجلّة كلّيّة التّربية جامعة طرابلس، ع4، ليبيا، 1974.
- شويحط، إبراهيم أحمد، السّماع اللّغويّ المباشر عند النّحاة قبل سيبويه، رسالة ماجستير، إربد، جامعة اليرموك، 2012.

المبحث الأوّل: في حدّ الأعراب:

ليس من غرابة أن تتّفق مصادرُ العربيّة على تعريف لفظ "الأعرابيّ"؛ تستوي في ذلك المعاجم وكتب اللّغة والتّفسير وغريب الحديث؛ فالطّارفُ منها يعوّلَ على التّليد. وقد جاء في اللّسان: "الأعرابيّ: البدويّ؛ وهم الأعراب، والأعاريب: جمع الأعراب. وجاء في الشعر الفصيح الأعاريب. وقيل: ليس الأعراب جمعًا لعرب، كما كان الأنباط جمعًا لنبطٍ، وإنّما العرب اسم جنس. والنّسب إلى الأعراب: أعرابيّ؛ قال سيبويه إنّما قيل في النسب إلى الأعراب أعرابيّ؛ لأنّه لا واحد له على هذا المعنى". (ابن منظور، 1414هـ: 1: 586). وفي تهذيب اللّغة: "ورجل أعرابيّ، بالألف، إذا كان بدويًّا صاحبَ نُجْعة وانتواء وارتياد للكلأ وتتبُّع لمساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو من موالِيهم.... فمن نزل البادية أو جاور البادينَ بظَعْنِهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب". (الأزهري، 2001: 2/218). فالمعاجم تُجمع على أنّ "العرب جيلٌ من النّاس.... والأعراب منهم سكّان البادية خاصّة". (الجوهريّ، 1987: 1/178).

وقد ورد لفظ "الأعراب" في التّنزيل عشرَ مرّات، وأطبق المفسّرون على أنّ الأعراب "جمع أعرابيّ، وواحد العرب عربيّ، وإنما قيل: أعرابيّ لأهل البدو؛ فرقًا بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأعراب لأهل البادية". (الطّبريّ، 2000: 20/234) في تفسيره للآية العشرين من سورة الأحزاب، وفي أثَر الطّبريّ سار المفسّرون؛ ومن ذلك تفسير الخازن للآية السّابعة والتّسعين من سورة التّوبة؛ إذ قال: "الأعرابُ أشدُّ كفرًا ونفاقًا نزلتْ في سكّان البادية... ورجل أعرابيٌّ: إذا كان بدويًّا يطلب مساقط الغيث والكلأ". (الخازن، 1415هـ: 2/397، ويُنظَر: البغويّ، 1420هـ: 2/380، والمحلّيّ والسّيوطيّ، د.ت: 257).

كذلك جاء في النّهاية في غريب الحديث والأثر أنّ "الأعراب: ساكنو البادية من العرب الّذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها إلّا لحاجة. والعرب: اسمٌ لهذا الجيل المعروف من النّاس. ولا واحد له من لفظه. وسواءٌ أقامَ بالبادية أَوِ المدُن. والنّسبُ إليهما: أعرابيّ وعربيّ". (ابن الأثير: 1979، 3/ 202).

وقبل أن نقبل ما أجمعت عليه مصادر العربيّة من المكافأةَ بين الأعرابيّ والبدويّ نجدُنا مضطرّين إلى التّريُّث في إقرار هذا الحكم؛ إذ نجد في بعض النّصوص الّتي لا يمكن تجاهلُها في هذا الباب ما يدعونا إلى التّفرقة بين البدو والأعراب؛ ولعلّ أهمَّها ما رُوي عن عائشة أمّ المؤمنين أنّها قالت: "لمّا قدمنا المدينة نهانا رسول

الله أن نقبل هديّة من أعرابيّ، فجاءت أمّ سُنْبلة الأسلميّةُ بلبن، فدخلت به علينا، فأبَينا أن نقبله، فنحن على ذلك إلى أن جاء رسول الله معه أبو بكر، فقال: ما هذا؟ فقلت يا رسول الله هذه أمّ سُنْبلة أهدت لنا لبنًا، وكنت نهيتنا أن نقبل من أحد من الأعراب شيئًا. فقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: خذوها؛ فإنّ أَسْلَمَ ليسوا بأعراب؛ هم أهل باديتنا، ونحن أهل قارِيَتِهم، إذا دعَوناهم أجابوا، وإنِ استنصرناهم نصرونا". (ابن سعد، 1990: 228/8).

فهذا النصُّ جَليُّ الدّلالة على أنّ الأعراب غيرُ أهل البادية، وقد عدّ النبيُّ الكريمُ أسلمَ بَدوًا، لا أعرابًا، ولذلك قبلَ اللَّبن من أمّ سُنْبلةَ الأسلميّة.

وقد وردت في المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام إشارة إلى ما كان من "تفريق الكتَبةَ اليونان بين اللّفظين"، (علي، 1968: 31/1) وعليه فإنّ لفظ الأعراب بهذا المفهوم يمكن أن يوضع بإزاء (SCENITAE) أي "سكّان الخيام"، أمّا لفظ البدو فيمكن جعلُه بإزاء (NOMADAS) (NOMAS). (المرجع نفسه).

ولم نجد أحدًا من المُحدَثين ممّن صفا كتابُه أو بحثُه لدراسة الأعراب وقف على شيء من مُشكل هذا اللّفظ وأَنْبَهَ عليه، بَلهَ أن يحقّقَه ويُجلِّيَه، وقد كان لناصر الدّين الأسد فضلُ الإنباه على هذا المشكل وفضلُ تحقيقِه؛ حتّى خلُصَ إلى أنّ البادية عند العرب لفظة "قد تخصَّص وتقيَّد؛ فتقتصر في دلالتها على ظواهر المدن والقرى وضواحيها القريبةِ منها المُطيفةِ بها، ولا تكون حينئذٍ رمالًا ولا قَفْرًا.... وأهلُها يقتصرون عليها، ولا يُضطرّون إلى غيرها إلّا في حِمًى محدودٍ ينتقلون فيه وينتجعون، ولهم نَعَمٌ وخيل وإبل، وهم متصلون بقارِيَتِهم أو حاضرتهم يدخلون ويخرجون.... هؤلاء هم البادية أو أهل، البادية، أو البدو، أو عرب الضّواحي، أو عرب الأرجاء، أو الشّاويةُ، على اختلاف يسير بين مدلولات هذه الألفاظ باختلاف العصور. أمّا سكّانُ الرّمال والقفار فهم أهل إبل ليس لهم نَعَمٌ ولا شاء ولا خيل، وهم ضاربون في تلك الفيافي بعيدون عن العُمران....". (الأسد، 2009: 38).

أمّا القدماءُ فلم نعرف منهم غيرَ ابنِ خلدونٍ انتبهَ على أنّ "مَن كان معاشُهم على الإبل فهم أكثرُ ظَعْنًا، وأبعدُ في القَفر مجالًا؛ لأنّ مسارحَ التُّلول ونباتَها وشجرَها لا تستغني بها الإبلُ في قِوام حياتها عن مراعي الشّجر بالقَفْر، وورودِ مياهه المِلْحة، والتّقلُّبِ فصلَ الشّتاء في نواحيه فرارًا من أذى البرد إلى دَفاءَة هوائه، وطلبًا لِماخِض النِّتاج في رماله؛ إذِ الإبلُ أصعبُ الحيوان فِصالًا ومَخاضًا، وأحوجُها في ذلك إلى الدِّفاءة، فاضطُرّوا إلى إبعاد النُّجْعة، وربّما ذادتْهمُ الحامية عن التُّلول أيضًا فأوغلوا في القِفار؛ نفْرةً عن الضَّعة منهم، فكانوا لذلك أشدَّ النّاس توحُّشًا، وينزلون من أهل الحواضر منزلةَ الوحشِ غيرِ المَقدورِ عليه، والمفترِس من الحيوان العُجْم، وهؤلاء هم العرب". (ابن خلدون، 1988: 151/1-152). وليت ابنَ خلدونَ اعتنى بتحقيق اللّفظ عنايتَه ببيان أحوال العمران والأمم؛ فقد وصف الأعراب حقَّ الوصف، بيدَ أنّه أطلق عليهم اسم العرب! ونحنُ نعلم أنّ "الأعرابيّ إذا قيل له: يا عربيّ، فرح بذلك وهَشَّ له، والعربيّ إذا قيل له: يا أعرابيّ، غضب له." (ابن منظور، 1414هـ: 586/1). وإنّ في نصّ ابن خلدونَ ما يمكن أن يضاف إلى الأدلّة الّتي أقامها ناصرُ الدّين الأسدُ على الفرق بين البدويّ والأعرابيّ؛ وقد كان معهودًا عن البدو أنهم كانوا يُطيفون بالقواري ويتّصلون بأهلها، ولم يُعهَد وصفُهم بشيء ممّا عُرف عن الأعراب؛ من كونهم "أشدَّ النّاس توحُّشًا، وينزلون من أهل الحواضر منزلةَ الوحشِ غيرِ المَقدورِ عليه، والمفترِس من الحيوان العُجْم"، وهو ما كان نصَّ عليه كتاب الحيوان في سياق الحديث عن حيوانات الصّحراء؛ جاء فيه: "وإنّما اعتُمد في مثل هذا على ما عند الأعراب... فقد نزلوا كما ترى بينها، وأقاموا معها، وهم أيضًا من بين النّاس وحشٌ، أو أشباه الوحش". (الجاحظ، 1965: 29/6). وإنّ ما يزيدُنا اطمئنانًا إلى هذا الفرق بين الأعراب والبدو ما عرفناه من حياة القبيلة العربيّة واتّساع منازل أهلِها، وقد حفظت لنا بعضُ النّصوص أنّ منازل القبيلة كانت تتّسع لتبلغ قِفافًا وبِراقًا ورمالًا معيّنة، وإن كانت ضاربةً في البُعد والاتّساع؛ قال العامريّ في وصف ديار بني أسد: "العُرَف ببلاد أسد... بها قِفافٌ ورمالٌ وغيرُ ذلك.... وهنّ أربعُ عُرَف: عُرْفةُ ساق، وعُرْفةُ صارة، وعُرفةُ رَقْدٍ، وعُرْفةُ أعيار.... وهنَّ أجارعُ وقِفاف...". (الأصفهانيّ، د.ت: 39).

كما يؤيّد أنّ الأعرابَ هم سكّانُ الرّمْل من أهل الإبلِ الضّاربةُ سُكناهم في القِفار قولُ الجاحظ في رسائله: "وترى الأعراب تحنّ إلى البلد الجدب والمحلّ القفر والحجر الصّلد". (الجاحظ، 1964: 388/2)؛ وليست هذه طبيعةَ مَحاضِر البدو ومَناجِعهم، ويعزّز ذلك قولُ أعرابيّ يذكر بلده: "رملةٌ كنت أنا جنينَ ركامها". "الجاحظ، 1964: 391/2". كما نضيف إليه أنّ البدو لم يُعهَد عنهم أنّهم كانوا يأكلون جراءَ الكلاب والذّئاب، والخنافس والجِعلان، وذلك بعضُ ما كان يستمرئُ أكلَه الأعرابيُّ ويستطيبُه. (يُنظَر: الجاحظ، 1965: 124/2، 159-160، 359/3، 526).

المبحث الثّاني: حاجة النّحاة إلى الأعراب

نستطيع الاطمئنان إلى أنّ مخالطةَ العلماء للأعراب طلبًا لما عندَهم كانت في الطّبقة الرّابعة من طبقات النّحويّين واللّغويّين البصريّين، ونرجّح أنّها بدأت بهم؛ إذ لا نجد فيما بين أيدينا من أخبار ما يشير إلى أنّ ذلك كان فيما قبلَ هذه الطّبقة، هذا من جهة النّقل والرّواية، وأمّا طريق العقل والدّراية فلنا فيها كذلك ما يرجّح ما ذهبنا إليه؛ إذ إنّ العربيّة لم يَرسُ لها أصلُ السّماع بمبادئه وأشراطِه قبل أبي عمرو بن العلاء (ت154هـ)، وهو رأس هذه الطّبقة، ومن الأدلّة على ذلك ما روى ابن نَوفلٍ قال: "سمعتُ أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبِرْني عمّا وضعتَ ممّا سمّيتَه عربيّة، أيدخل فيها كلام العرب كلُّه؟ فقال: لا. فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العربُ وهم حُجَّة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمّي ما خالفني لغات." (الزّبيدي: 1984، ص39).

ولا يخفى أنّ علماء العربيّة ارتحلوا في طلب مادّتها مجاوزين البوادي إلى الفيافي والرّمال، بغيةَ التقاء من لم تَفسُدْ سليقتُه من العرب، والأخذ عنه، مقتصرين على عرب القبائل الّتي أفضتْ مقاييسُهم إلى ارتضاء لغتها. وقد استمرَّت الرّحلةُ إلى هؤلاء الفصحاء ودامَ الأخذُ عنهم حتّى نهاية القرن الرّابع (الأفغانيّ، 1987: ص20). وممّا يُروَى أنّ أبا عمرو بن العلاء "كانت كتبُه الّتي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتًا له إلى قريب من السّقف" (ابن خلّكان،

د.ت: 3/ 466)، أمّا الكسائيّ (ت189هـ) وهو في الطّبقة الثّانية من طبقات النّحويّين واللّغويّين الكوفيّين فيُروَى أنّه قال للخليل بن أحمد (ت170هـ): "من أين أخذت علمك هذا؟ قال: من بوادي الحجاز ونجدٍ وتهامة، فخرج ورجع. وقد أنفد خمس عشرة قِنّينةً حبرًا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ". (الحمويّ، 1993: 4/1738).

وممّا نضربُه هنا مثلًا على المشقّة الّتي كان يتكبّدُها علماءُ العربيّة في طلب ما عند الأعراب ما حدّث به الأصمعيّ، قال: "شهدت ليلةً من الليالي بالبادية، وكنت نازلًا عند رجل من بني الصّيداء من أهل القَصيم، وكان، والله، واسع الرَّحْل كريمَ المحَلّ، فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق، فأتيت أبا مَثْوايَ فقلت له: إنّي قد هَلِعْتُ من الغربة، واشتقت أهلي، ولم أُفد في قَدْمَتي هذه عليكم كبيرَ علم. وإنّما كنت أغتفر وحشة الغربة، وجفاء البادية للفائدة. فأظهرَ توجُّعًا ثمّ جفاء، ثم أبرز غداءً فتغدّيت معه، وأمر بناقة له مَهْرية فارتحلها، واكتفلها، ثم ركب وأردفني، وأقبلها مَطلِع الشمس فما سرنا كبيرَ مسير حتى لقيَنا شيخٌ على حمار، له جُمَّةٌ قد ثَمَغَها كالوَرْس فكأنّها قُنَّبيطة، وهو يترنّم، فسلّم عليه صاحبي وسأله عن نسبه فاعتزى أسديًّا من بني ثعلبة. فقال: أتنشد أم تقول؟ فقال: كُلًّا. فقلت: أين تؤم؟ فأشار بيده إلى ماء قريب من الموضع الّذي نحن فيه. فأناخ الشيخ، وقال لي؛ خذ بيد عمّك فأنزله عن حماره، ففعلت، فألقى له كساءً، ثم قال: أنشدنا يرحمك الله، وتصدّق على هذا الغريب بأبيات يعهنَّ عنك، ويذكرك بهنَّ، فقال: إي ها الله إذًا! ثم أنشدني..."، (السّيوطيّ، 1986: 2/305-306)، فقال الأصمعيُّ بعد أن أنشدَه الشّيخ داليّةً ثمّ لاميّةً من الطّويل: "فقمت والله وقد أُنسيت أهلي، وهان عليّ طول الغربة وشظف العيش سرورًا بما سمعت". (المصدر نفسه).

وقد فطِن الأعرابُ إلى أنّهم يملكون من ألسنتهم وذواكرهم بضاعةً تُطلَب، فصاروا يَفِدون على الأمصار، ويُنشِدون ويحدّثونَ، فتُقضَى لهم بذلك حوائجُهم (يُنظَر: الجمحيّ، د.ت: 1/47–48)، حتّى صارتْ لبعضهم لِقاءَ ذلك وظائفُ عند بعض النّحاة؛ روى الزّجّاجيّ بإسناده إلى نُصَير قال:

"أصبح الكسائيّ يومًا محزونًا كئيبًا فقلنا له: ما قصّتك؟ قال: أصبحتُ وقيذًا ساهرًا بآية قرأتها. قلنا: ما هي؟ قال: إنْ قرأتُ: "والليلِ إذا يَسْرِي"، خالفتُ أصحاب محمّد؛ لأنّ عثمانَ، رضي الله عنه، جمع أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على ما في هذا المصحف. وإنْ أنا قرأت "يَسْرِ" بلا ياء فقد نَقَصْتُ، فما أدري ما أصنع. قال: فأتاه أعرابيٌّ يُكْنَى أبا الدّينار، وكانت له عنده وظيفة، فقال له الكسائي: يا أبا الدّينار، أتقرأ من القرآن شيئًا؟ قال: أقرأ بعِلم. قال له: اقرأ: "والفجرِ"، فابتدأ يقرأ: "والفجرِ، ولياٍل عَشْرٍ، واللّيلِ إذا يَسْرِ"، قال: فسُرِّيَ عن الكسائيّ ما كان فيه من الغمّ.

فقال الفرّاءُ وقد عجب ممّا به: وما ترجو بسماعك منه؟ فقال له الكسائيّ: أنت لا تدري، هؤلاء ينوّنون في قوافي الشّعر، فإنْ كانت نصبًا نوّنُوها منصوبًا، وإنْ كانت رفعًا نوّنُوها رفعًا، وإنْ كانت خفضًا نوّنُوها. فلما كانت "والفجرِ" آية نوّنُوها، "ولياٍل عَشْرٍ" نوّنُوها، "واللّيلِ إذا يَسْرِ" نوّنُوها أيضًا. قال: فقال له الكسائيّ: يا أبا الدّينار، لك عندي وظيفتُك ومِثْلُها معَها. (الزّجّاجيّ، 1983: 202).

وقد كان فصحاءُ الأعراب مرجعَ علماء العربيّة إذا حَزبتهم مسألةٌ من مسائل اللّغة، كما كانوا المرجعَ الّذي يُصِحُّ قولَ العالمِ في مسألةٍ من المسائل ويفنّدُ قولَ سواه؛ فمن الأوّل ما رُوي من أنّ أبا عمرو بن العلاء سئل عن "اشتقاق الخيل فلم يعرف، فمرّ أعرابيٌّ مُحْرِم، فأراد السّائل سؤال الأعرابيّ، فقال له أبو عمر: دعني؛ فأنا ألطفُ بسؤاله وأعرَف، فسأله، فقال الأعرابيّ: اشتقاقُ الاسم من فعل المسمَّى، فلم يعرف من حضرَ ما أراد الأعرابيّ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك، فقال: ذهب إلى الخُيَلاء الّتي في الخيل والعُجْب؛ ألا تراها تمشي العِرَضْنةَ خُيلاءَ وتكبُّرًا!" (الزّبيديّ، 1984: 35-36).

أمّا الاحتكامُ إلى الأعراب في إقرار قولٍ لعالمٍ وتفنيدِ غيرِه فذلك ما نجدُه ضافيًا فيما نُقل إلينا من مناظرات العلماء، ويظلّ ما وقع بين سيبويه والكسائيّ فيما عُرفَ بالمسألة الزُّنبوريّة أشيعَ الأمثلة على تلك المناظرات الّتي فُصل القولُ فيها بالاحتكام إلى الأعراب. (يُنظَر: ابن الأنباريّ، 2003: 576-577).

المبحث الثّالث: توثيق الأعراب وتضعيفهم:

لم يكن بِدعًا أن يختلف علماء العربيّة في توثيق الأعراب وتضعيفهم؛ وقد اختلفوا، مذ بدأ الأخذُ عن العرب، فيمن يؤخَذُ بلغته ومن يُرَدُّ لسانُه. وقد بدأ هذا الخلاف بين علماء البصرة أنفسِهم، قبل أن يمتدّ الخلافُ ويصيرَ فاشيًا بين أهل المِصرين: البصرةِ والكوفة. من ذلك أنّ عبدَ اللهِ بنَ أبي إسحاق الحضرميَّ (ت117هـ) وأبا عمرو بنَ العلاء (ت154هـ) ومن إليهما من البصريّين كانوا يتنقّصون طبقةَ الشّعراء الإسلاميّينَ جملةً (البغداديّ، 1998: 1/29-30)، وهنا نورد خبرًا في الدّلالة على هذا الخلاف من حديث أبي زيد الأنصاريّ (ت215هـ) والأصمعيّ (ت216هـ)، وكلاهما بصريّ، "قال الأصمعيّ: يقال في الوعيد والتّهدُّد: قد رَعدَ فلانٌ لنا وبَرَق، ورَعَدْنا وبَرَقْنا. ولا يقال: أرْعَدَ فلانٌ ولا أَبْرَقَ. قال أبو زيد: بل يقال ذلك. قلت للأصمعيّ: الكُمَيْتُ يقول:

أبرِقْ وأرعِدْ يا يزيـــ ـــدُ فما وعيدكَ لي بضائرْ

فقال: الكُمَيْت ليس بحجة كأنّه يقول: هو مولَّد." (الزّجّاجيّ، 1983: 109). بيد أنّ هذا الخلاف في شأن الاحتجاج بالكميت وطبقة الشّعراء الإسلاميّين قد حُسمَ في تاريخ النّحو العربيّ بالاعتداد بهذه الطّبقة، وهو ما نجده ظاهرًا فيما قرَّ عليه الأمر في كتاب سيبويه، وفي مصادر النّحو العربيّ بعدَه.

ولقد مضى نحاة الكوفة يأخذون "عن قوم **لا يثق** بأكثرهم البصريّون" (أبو الطّيّب اللّغويّ، د.ت: 92)، وكان ذلك من أظهر أسباب الخلاف بين نحاة المِصرَين، حتّى شاع قول الرّياشيّ (ت 257هـ):

"إنّما أخذْنا اللّغة عن حَرَشَة الضِّباب، وأَكَلَة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللّغة عن أهل السّواد؛ أصحاب الكواميخ، وأَكَلَة الشّواريز". (السّيرافيّ، 1955: 68)،

بل لقد نظمَ في ذلك اليزيديّ (ت 202هـ) منكرًا على الكسائيّ وجماعة الكوفيّين: (ابن الأنباريّ، 1985: 71).

كنا نقيس النّحو فيما مضى على لسان العرَب الأوّلِ
فجاء أقوام يقيسونهُ على لُغا أشياخ قُطْرُبُّلِ
فكلُّهمْ يعمل في نقض ما به يصابُ الحقّ لا يأتلي
إنّ الكسائيّ وأصحابَهُ يرقَونَ في النّحو إلى أسفلِ

ويظهر الخلاف في الاحتجاج بالأعراب جليًّا في قول أبي الطّيّب اللّغويّ: "أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريّين ولكنّ أهل البصرة يمتنعون من الأخذ عنهم؛ لأنّهم لا يرونَ الأعراب الّذين يحكون عنهم حُجّة".(أبو الطّيّب اللّغويّ، د.ت.: ص90).

وقد كان النّحاة يختبرون هؤلاء الأعراب، فإمّا قبلوا منهم وأخذوا عنهم، وإمّا حكموا بفساد ألسنتهم، فلم يأخذوا بقولهم؛ ونضرب لذلك مثلًا اختبارَ أبي العبّاس ثعلبٍ (ت291) أبا الدّوّاد محمّد بن ناهض؛ إذ سأله: "ما تعاني في بلادك؟ قال: الإبل. قال: فما معنى قول العرب للبعير: نِعْمَ مُعَلَّقُ الشَّرْبةِ هذا؟ فقال أبو الدّوّاد: أراد سرعة هذا البعير إذا كان مع راكبه شربة أجزأته لسرعته حتّى يوافي الماء الآخر. قال: أصبت. فما معنى قولهم: بعير كريم إلاّ أنّ فيه شارب خوَر؟ فقال: الشّوارب: عروق تكون في الحلق في مجاري الأكل والشّرب، فأراد أنّه لا يستوفي ما يأكله ويشربه، فهو ضعيف؛ لأنّ الخوَر الضعف. فقال ثعلب: قد جمع أبو الدّوّاد علمًا وفصاحة، فاكتبوا عنه واحفظوا قوله". (السّيوطي، 1986: 289/2).

وفي البيان والتّبيين أنّ فُصحاءَ الأعراب "لا يفهمون قول القائل منّا: مكرهٌ أخاك لا بطل، وإذا عزّ أخاكَ فهُن. ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم: ذهبت إلى أبو زيد، ورأيت أبي عمرو. ومتى وجد النّحويون أعرابيًّا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه، ولم يسمعوا منه؛ لأنّ ذلك يدلُّ على طول إقامته في الدّار الّتي تُفسِد اللّغة، وتَنْقُضُ البيان." (الجاحظ، 2009: 148/1).

وحَقيقٌ بهذا المقام أن نذكر ما كان من بعض الأعراب من ملازمةٍ للعلماء، حتّى صار بعضُهم صاحبَ علم بالعربيّة يعلّمه للنّاس؛ ونضرب لهؤلاء مثلًا أبا فَيْد مُؤرّجَ بن عمرو السَّدوسي؛ وقد "قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس في العربيّة"، (ابن الأنباريّ، 1985: 105). وكان يقول: "أوّلُ ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاريّ بالبصرة" (المصدر نفسه). ثم صار "من أصحاب الخليل" (ابن النّديم، د.ت: 70). كذلك فقد بلغَ بعض هؤلاء من التّمرّس بنحو العربيّة أنْ يُعْرَفَ بمذهب نحويّ دون غيره، كأبي مالكٍ عمرو بن كِركِرة، الّذي تذكر المصادر أنّه "كان بصريّ المذهب." (ابن النّديم، د.ت: 71). وبيْنا كان ابنُ كِركِرةَ يعلّم في البادية كان أعرابٌ آخرون يعلّمون في الحضر؛ ومن هؤلاء أبو البيداء الرّباحِيّ وهو "أعرابيّ نزل البصرة، وكان يعلّم الصّبيان بأجرة، أقام بها أيّامَ عمرِه يؤخَذ عنه العلم." (ابن النّديم، د.ت: 70).

ويبدو أنّ صفة الأعرابيّ لم تعد تسمُ حاملَها بما كانت تَصِم به كثيرًا من الأعراب في زمن التّنزيل؛ فقد أضحت ألسنةُ فصحائهم مناجمَ تُقصَد، ويُرتَحَلُ إليها، بل صار من هؤلاء الأعراب علماءُ يتصدّرون لإلقاء العلم، فبلغَ من مَكانتِهم أن صارَ بعضُ العلماء يتشبّهُ بهم؛ ومن ذلك أنّ أبا محمّد الغُنْدِجانيَّ المعروفَ بالأسود الأعرابيّ (ت430هـ)، ولم يكن من الأعراب، "كان يتعاطى تسويد لونه؛ فكان يدّهن بالزيت، ويقعد بالشّمس يتشبّه بالأعراب؛ ليتحقّق تلقيُبه بالأعرابي." (أبو الطّيّب اللّغويّ، د.ت: 267). وقد سمّى ابن النّديم طائفةً من الفصحاء في المقالة الثّانية من الفِهْرِسْت تحت عنوان: "أسماء فصحاء العرب المشهورين الّذين سَمع منهم العلماء وشيءٌ من أخبارهم وأنسابهم".(ابن النّديم، د.ت: ص70).

المبحث الرّابع: مذاهب النّحاة في الأخذ عمّن يوثَق بعربيّته من الأعراب:

مضينا في هذا البحث على ذكر الخلاف بين نحاة المِصرَين في شأن مَن تؤخَذُ عنه العربيّة، بل لقد كان الخلافُ، قبل أن ترسوَ الأصول، واقعًا في هذا الشّأن بين بعض نحاة البصرةِ أنفسِهم.

وقد صرّحَ ابنُ جنّيّ بواحدة من أهمّ المسائل التي تُبنى على توثيق العربيّ؛ وهي قَبولُ أفراده، جاء في الخصائص في: "بابٌ فيما يرد عن العربيّ مخالفًا لما عليه الجمهور: إذا اتّفق شيء من ذلك نُظر في حال ذلك العربيّ، وفيما جاء به، فإنْ كان الإنسان فصيحًا في جميع ما عدا ذلك القَدْر الّذي انفرد به، وكان ما أورده ممّا يقبل القياس، إلّا أنّه لم يرِدْ به استعمال إلاّ من جهة ذلك الإنسان، فإنّ الأَولى في ذلك أن يُحسَن الظّنُّ به، ولا يُحمل على فساده." (ابن جنّيّ، 1955: 385/1، ويُنظَر: السّيوطيّ، د.ت: 22)، ويقول في موضع آخر من الخصائص: "لو جاء شيء من ذلك عن ظَنين أو متّهَم أو مَن لم تَرقَ به فصاحتُه، ولا سبقتْ إلى الأنفس ثقته كان مردودًا غيرَ متقبَّل". (ابن جنّيّ، 1955: 25/2، ويُنظَر: السّيوطيّ، د.ت: ص23). ويظهر من كلام ابن جنّيّ أنّ ثمّةَ شرطين لهذا التّوثيق: أمّا أوّلُهما فأنْ يكون "الإنسان فصيحًا في جميع ما عدا ذلك القدر الّذي انفرد به". وأمّا الثّاني: فأنْ يكون "ما أورده ممّا يقبل القياس". ونتوقّف هنا عند الشّرط الثّاني؛ وهو قَبول ما أوردَه العربيّ من أفرادٍ للقياس، فهذا الشّرط يجعلُ النّحويَّ محكَّمًا فيما يرد على لسان العربيّ؛ فإن وافق مذهبَه في القياس أخذَ به وفصّحَ صاحبَه، وإلّا ردَّ القولَ وضعّفَ صاحبَه. ويظهر أنّ التّوثيق الّذي نصَّ عليه ابنُ جنّيّ أصلًا من أصول قَبول أفراد العربيّ كان مَلمَحًا حَصيفًا له شواهدُه في أعمال النّحاة قبلَه؛ فمن يطالعْ كتابَ سيبويه يجدْه يفرّقُ في الصّيغة بين الرّواية عن العرب عامّةً، وعمّن يوثَق به من العرب، فمن ذلك قولُه، وهو كثير: "وسمعنا العرب **الموثوق بهم** يقولون..."، "وسمعنا من العرب ممّن **يوثَق به**"، و"حدثنا به يونُسُ وأبو الخطّاب عمّن **يوثَق به** من العرب..."، و"سمعنا

من نثق به من العرب...". (سيبويه، 2004: 330/1، 53/1، 83/2، 139/4).

أمّا عدمُ التّوثيقُ فنجده في مثل قول سيبويه::: "وسمعنا من العرب من يقول...."، ومن ذلك قولُه: و"زعم عيسى بن عمر أنّ ناسًا من العرب يقولون..."، و"بعض العرب يقول..."، "وزعم أبو الخطاب أنّ بعض العرب تقول". (سيبويه، 2004: 243/1، 241، 209/2، 16/3، 128، 626، 7/4، 42).

ويظهر في كتاب سيبويه ما يظهر في أعمال غيره من أكابر النّحاة أنّهم كانوا يسلّمون للعرب في معظم ما يردُ منهم، بيد أنّ كثيرًا منهم كانوا لا يعتدّون بالمَقول أو المرويّ إن كان يخالف "القياس" الّذي نصَّ عليه ابنُ جنّي، وهو قياس يختلف في بعض المسائل بين النّحاة، ولسنا نقصد هنا إلى الاختلاف الّذي مردُّه إلى الخلاف في توثيق بعض العرب، والأعرابُ منهم، كذاك الّذي عرضنا له من الخلاف بين نحاة المِصرين، بل بين بعض البصريّينَ أنفسِهم، وإنّما نقصد هنا إلى ردِّ بعضٍ ممّا يجيء من الفصيح الّذي سبقَ توثيقُه؛ ذلك أنّه يردُّه قياسُ النّحويّ فلا ينزلُ لديه منزل القَبول.

ونستهلّ الأدلّة على ذلك بما وقع بين أبي عمرو بن العلاء وأبي خَيرةَ الأعرابيّ، وكان من الفصحاء الّذين سمع منهم أبو العلاء ووثّقهم؛ "قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خَيرة: كيف تقول :حفرتُ إراتِك؟ فقال: حفرت إراتَك ..قال :فكيف تقول: استأصل الله عرقاتِهم أو عرقاتَهم؟ فقال :استأصل الله عرقاتَهم. فلم يعرفها أبو عمرو، وقال :لان جلدك يا أبا خيرة. يقول: أخطأت. قال أبو العبّاس: وهي لغةٌ لم تبلغ أبا عمرو. (الزّجّاجيّ،1983: 6). يريد بِـ"لان جلدُك" عاشرتَ الحاضرة فأخطأت. فهذه لغةٌ لم تبلغ أبا عمرو، فلم يسلّم لها حين وجدَها من أفراد أبي خَيرة.

كذلك كان سيبويه يتابع كلام العرب ما لم يخالف قولُهم مذهبَه في القياس؛ قال: "وزعم أبو الخطّاب أنّ ناسًا من العرب يقولون: ادعِهْ، من دعوت، فيكسرون العين، كأنّها لمّا كانت في موضع الجزم توهّموا أنّها ساكنة؛ إذ كانت آخرَ شيء في الكلمة في موضع الجزم، فكسروا حيث كانت الدّال ساكنة؛ لأنّه لا يلتقي ساكنان. كما قالوا: ردِّ يا فتًى. وهذه لغة ردئية، وإنّما هو غلط، كما قال زهير:

بدا ليَ أنّي لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيـا" (سيبويه، 2004: 160/4).

أمّا قياسُ الخليل فقد كان يرتضي قولَ زهير، وروى عنه سيبويه أنّه كان يجعل بمنزلة قولِ زهيرٍ"ولا سابقٍ شيئًا" قولَ الأعشى:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتُنا أو تنزلون فإنّا مَعشـرٌ نُزُلُ

فعدّ سيبويه تأويله بعيدًا. (سيبويه، 2004: 51/3، ويُنظَر كذلك 155/2).

وقد كان النّحاةُ في بعض الأحيان يضعون الكلام على غير ما وضعت العرب، ويصلح في الدّليل العامّ على ذلك قولُ سيبويه في الباب الّذي عنونه بِـ"باب يُختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مبنيًّا عليها ما بعدَها وما أشبهَ المصادرَ من الأسماء والصّفات"؛ (سيبويه، 2004: 328/1). قال "هذا بابٌ منه استكرهه النّحويون، وهو قبيح، فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب." (سيبويه، 2004: 334/1).

وقد كان عيسى بن عمرَ الثَّقَفِيُّ (ت149ه) "يطعن على العرب، ويخطّئ (المشاهير) منهم"، (القِفطِيّ، 1952: 375/2)، ومن ذلك أنّه كان يقول: أساء النّابغة في قوله حيث قال:

فبتُّ كأنيّ سـاورتني ضئيلةٌ من الرُّقْش في أنيابها السّمُّ ناقعُ

يقول: موضعها ناقعًا". (الجُمحيّ، د.ت: 16/1، والمرزُبانيّ، 1385ه: 39).

وقد ظلّ النّحاة يأخذون عن الأعراب، ويختبرون فصاحتَهم، ويعرضون ما يقولُ الأعراب ويروونَ على مذاهبهم في القياس إلى نهاية القرن الرّابع، ومن ذلك أنّ ابنَ جنّيٍّ وثّقَ أبا عبد الله الشّجَريّ، وهو أعرابيّ جُوثيّ من بني تميم، وضعّفَ ابنَ عمّه؛ يقولُ ابن جنّيّ من إحدى محاورتِه أبا عبد الله الشّجَريّ،: "سألتُ مرةً الشجريَّ، ومعه ابنُ عمٍّ له دونه في فصاحته، وكان اسمه غُصنًا، فقلت لهما: كيف تحقّران حمراء؟ فقالا: حُميراء. قلت: فسوداء؟ قالا: سُويداء. ووالیتُ من ذلك أحرفًا وهما يجيئان بالصواب. ثم دسستُ في ذلك (عِلباء) فقال غصن: (عُليباء)، وتبعه الشّجريّ. فلمّا همّ بفتح الباء تراجع كالمذعور، ثم قال:: آه، عُليبِيّ، ورام الضّمّة في الياء، فكانت تلك عادة له." (ابن جنّيّ، 1955: 2/ 26). ولابن جنّيّ مع الشّجريّ أخبار كثيرة. (ابن جنّيّ، 1955: 76/1 – 78، 240، 242، 26/2، 466).

وفي الخصائص كذلك: "وقد كان طرأ علينا أحدُ مَن يدّعي الفصاحة البدويّة، ويتباعد عن الضَّعْفة الحضريّة، فتلقّينا أكثر كلامه بالقَبول له.... إلى أن أنشدني يومًا شعرًا لنفسه يقول في بعض قوافيه: أَشْأَؤُها، وأَذْأَؤُها.... فالنّاطق بذلك بصورة من جرَّ الفاعل أو رفع المضاف إليه؛ في أنّه لا أصل يسوّغه، ولا قياس يحتمله، ولا سماعَ ورد به. وما كانت هذه سبيله وجب اطّراحه والتوقُّفُ عن لغة من أورده. وأنشدني أيضًا شعرًا لنفسه يقول فيه: كأنّ فايَ.... فقوِيَ في نفسي بذلك بُعْدُه عن الفصاحة." (ابن جنّيّ، 1955: 2/5-7).

الخاتمة:

عُنيتْ هذه الدّراسة بالأعراب في تاريخ النّحو العربيّ؛ إذ كانوا المورِدَ الحيَّ من موارد العربيّة، بعد أن فسدَت ألسنة النّاس. فقد كان باستطاعة العلماء أن يعودوا إليهم، وأن يختبروا ما تُفضي إليه أصولُ صناعتهم بالاحتكام إلى هؤلاء الأعراب. وقد كان فصحاءُ الأعراب مرجعَ علماء العربيّة إذا حَزبتهم مسألةٌ من مسائل اللّغة، كما كانوا المرجعَ الّذي يُصِحُّ قولَ العالِمِ في مسألةٍ من المسائل ويفنّدُ قولَ سواه. وقد ظلّ النّحاة يأخذون عن الأعراب، ويختبرون فصاحتَهم،

ويعرضون ما يقولُ الأعراب ويروونَ على مذاهبهم في القياس إلى نهاية القرن الرّابع، وقد ألفى هذا البحثُ مصادر العربيّة متّفقةً على المكافأة، في التّعريف والصّفة، بين الأعرابيّ والبدويّ؛ تستوي في ذلك المعاجم وكتب اللّغة والتّفسير، فناقشَها، وعرضَ لقول من خالفَها، ورجّحَ استسهالَ تلك المصادر إذ قضَت بتلك المكافأة، ذاهبًا إلى ميز الأعرابيّ من البدويّ؛ إذِ الأعرابُ سكّانُ رملٍ وقِفار يضربون في الفيافي بعيدًا عن العمران، وهم أهلُ إبِلٍ لا نَعَمَ لهم ولا خيلٌ ولا شاء.

وقد ذهب البحث إلى أنّ مخالطةَ العلماء للأعراب طلبًا لما عندَهم كانت في الطّبقة الرّابعة من طبقات النّحويّين واللّغويّين البصريّين، مرجّحًا أنّها بدأت بهم.

وقد اختلف علماء العربيّة في توثيق الأعراب وتضعيفهم، ولا عجب؛ فقد اختلفوا، مذ بدأ الأخذُ عن العرب، فيمن يؤخَذُ بلغته ومن يُرَدُّ لسانُه. وقد بدأ هذا الخلاف بين علماء البصرة أنفسِهم، قبل أن يمتدّ الخلافُ ويصيرَ فاشيًا بين أهل المِصرين: البصرةِ والكوفة.

ولقد وقف البحث على الأصل الّذي تقرّاه ابنُ جنّيّ في أعمال النّحاة الأوائل، وهو أن يكون ما أوردَه الفصيح من أفرادٍ موافقًا للقياس، فأقام البحثُ من الأدلّة ما يُفضي إلى أنّ هذا الشّرط يجعلُ النّحويَّ محكَّمًا فيما يرد على لسان العربيّ عامّةً والأعرابيّ خاصّة؛ فإن وافق مذهبَه في القياس أخذَ به وفصَّحَ صاحبَه، وإلّا ردَّ القولَ وضعّفَ صاحبَه. والقصدُ هنا إلى ردّ بعضٍ ممّا يجيء من الفصيح الّذي سبقَ توثيقُه؛ ذلك أنّه يردُّه قياسُ النّحويّ فلا ينزلُ لديه منزل القَبول.

وكان ممّا أسلمَ البحث أنّ صفة الأعرابيّ لم تعد تسمُ حاملَها بما كانت تَصِم به كثيرًا من الأعراب في زمن التّنزيل؛ فقد أضحت ألسنةُ فصحائهم مناجمَ تُقصَد، ويُرتَحَلُ إليها، بل صار من هؤلاء الأعراب علماءُ يتصدّرون لإلقاء العلم، فبلغَ من مَكانتِهم أن صارَ بعضُ العلماء يتشبّهُ بهم؛ بغيةَ أن تلحق به صفةُ الأعرابيّ.

المصادروالمراجع

ابن الأثير، ا. (1979). *النّهاية في غريب الحديث والأثر*. بيروت: المكتبة العلميّة.

أحمد، م. (1974). ظاهرة جمع اللغة في القرنين الأوّل والثّاني للهجرة. *مجلّة كلّيّة التّربية جامعة طرابلس، ليبيا*، 4.

الأزهريّ الهرويّ، م. (2001). *تهذيب اللغة*. (ط3). بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.

الأسد، ن. (2009). *ألفاظ من القرآن الكريم*. (ط1). عمان: دار الفتح للدّراسات والنّشر.

الأصفهانيّ، ا. (د.ت.). *بلاد العرب*. الرياض: دار اليمامة.

الأفغانيّ، س. (1987). *في أصول النّحو*. بيروت: المكتب الإسلاميّ.

ابن الأنباريّ، ك. (2003). *الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويّين البصريّين والكوفيّين*. (ط1). بيروت: المكتبة العصريّة.

ابن الأنباريّ، ك. (1985). *نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء*. (ط3). الأردن: مكتبة المنار.

البغداديّ، ع. (1998). *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلميّة.

البغويّ، ا. (1999). *معالم التنزيل*. (ط1). بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.

الجاحظ، ع. (2009). *البيان والتّبيين*. عمان: وزارة الثّقافة الأردنيّة.

الجاحظ، ع. (1965). *الحيوان*. (ط2). القاهرة: مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده.

الجاحظ، ع. (1964). *رسائل الجاحظ*. القاهرة: مكتبة الخانجيّ.

الجمحيّ، ا. (د.ت.). *طبقات فحول الشّعراء*. جدة: دار المدنيّ.

ابن جنّيّ، أ. (1955). *الخصائص*. القاهرة: دار الكتب المصريّة.

الجوهريّ الفارابيّ، أ. (1987). *تاج اللّغة وصحاح العربيّة*. (ط4). بيروت: دار العلم للملايين.

الحمويّ، ي. (1993). *معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. (ط1). بيروت: مكتبة الغرب الإسلاميّ.

الخازن، ع. (1995). *لُباب التّأويل في معاني التّنزيل*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلميّة.

ابن خلدون، ع. (1988). *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر*. (ط2). بيروت: دار الفكر.

ابن خلّكان، ش. (د.ت). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان*. بيروت: دار صادر.

دندشي، ح. (1982). *أطياب من كلام الأعراب*. طرابلس: جروس برس.

الزّبيدي، م. (1984). *طبقات النّحويّين واللّغويّين*. (ط2). القاهرة: دار المعارف.

الزّجّاجيّ، ع. (1983). *مجالس العلماء*. (ط2). القاهرة: مكتبة الخانجيّ، والرياض: دار الرّفاعيّ.

ابن سعد، م. (1990). *الطّبقات الكبرى*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلميّة.

سيبويه، ع. (2004). *الكتاب*. (ط4). القاهرة: مكتبة الخانجيّ.
السّيرافيّ، ا. (1955). *أخبار النّحويّين البصريّين*. (ط1). القاهرة: مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده.
السّيوطيّ، ج. (1986). *المزهر في علوم اللّغة وأنواعها*. صيدا وبيروت: المكتبة العصريّة.
السّيوطيّ، ج. (د.ت.). *الاقتراح في علم أصول النّحو*. سوريا: دار المعارف.
الشلقاني، ع. (1982). *الأعراب الرّواة*. (ط2). ليبيا: المنشأة العامّة للنّشر والتّوزيع والإعلان.
شويحط، إ. (2012). *السّماع اللّغويّ المباشر عند النّحاة قبل سيبويه. رسالة ماجستير*، جامعة اليرموك، إربد، الأردنّ.
الطّبريّ، م. (2000). *جامع البيان في تأويل القرآن*. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
أبو الطّيّب، ع. (د.ت.). *مراتب النّحويّين*. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
علي، ج. (1968). *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. بيروت: دار العلم للملايين، بيروت، وبغداد: دار النّهضة.
عيد، م. (1988). *الاستشهاد والاحتجاج باللّغة: رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللّغة الحديث*. (ط3). القاهرة: عالم الكتب.
القِفطيّ، ع. (1952). *إنباه الرّواة على أنباه النّحاة*. (ط1). القاهرة: دار الكتب المصريّة.
المبيضين، م. (2003). *الأعرابيّ في الأدب العربيّ من الجاهليّة حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري. رسالة دكتوراه*، إشراف عفيف عبد الرّحمن، جامعة اليرموك.
المحلّيّ، ج.، والسّيوطيّ، ج. (د.ت.). *تفسير الجلالين*. (ط1). القاهرة: دار الحديث.
مردم بك، خ. (1978). *شعر الأعراب*. (ط1). دمشق: مؤسّسة الرّسالة.
مردم بك، خ. (1977). *كتاب الأعرابيّات*. (ط1). دمشق: مؤسّسة الرّسالة.
المرزُبانيّ، م. (1965). *الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء*. (ط2). القاهرة: المطبعة السّلفيّة.
المغربيّ، ع. (1929). فصحاء الأعراب. *مجلّة المجمع العلميّ العربي، دمشق*، 9، 140-159.
ابن منظور، م. (1994). *لسان العرب*. (ط3). بيروت: دار صادر.
ابن النّديم، أ. (د.ت.). *الفِهرِست*. القاهرة: المكتبة التّوفيقيّة.

References

Al-Afaghani, S. (1987). *Fi 'Usul al-nahw*. Beirut: Al-maktab Al-'Islami.
Ali, J. (1968). *Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam*. Beirut: Dar al-'Ilm li al-Malayeen. Baghdad: Dar al-Nahdah.
Ibn Al-Anbari, A. (2003). *Al-'Insaf fi Masa'il al-Khilaf*. Beirut: Al-Makjaba Al-Asriyya.
Ibn Al-Anbari, A. (1985). *Nuzhat al-Alibba*. Al-Zarqa', Jordan: Maktabat al-Manar.
Al-Asad, N. (2009). *Alfath min al-Qur'an al-Kareem*. Amman: Dar al-Fath.
Al-Asfahani, A. (n.d). *Bilad al-Arab*. Al-Riyadh: Dar al-Yamamah.
Ibn al-Athir, A. (1979). *Al-Nihaya fi Gharib al-Hadith wal Athar*. Beirut: Al-Maktaba Al-'Ilmeyya.
Al-Azhari, M. (2001). *Tahthib al-Lughai*. Beirut: Dar Ihya, al-Turath al-Arabi.
Al-Baghawi, H. (1999). *Ma'alim al-Tanzil*. Beirut: Dar Ihy' al-Turath al-Arabi.
Al-Baghdadi, A. (1998). *Khizanat al-Adab*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Imiyya.
Dandashi, H. (1982). *Atyab min Kalam al-Arab*. Tarablus: Jarrous Press.
Al-Hamawi, Y. (1993). *Mu'jam al-'Udaba'*. Beirut: Maktabat al-Gharb al-Islami.
Al-Jahiz, A. (2009). *Al-Bayan wa al-Tabyeen*. Amman: Ministry of Culture.
Al-Jahiz, A. (1965). *Al-Hayawan*. Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons.
Al-Jahiz, A. (1964). *Rasa'il al-Jahiz*. Cairo: Maktabat al-Khanji.
Al-Jawhari, I. (1987). *Taj al-Lughah wa Sihah al-Arabiyyah*. Beirut: Dar al-'Ilm li al-Malayeen.
Ibn Jinni, U. (1955). *Al-Khasa'is*. Cairo: Dar al-Kutuba al-Misriyyah.
Ibn Khaldoun, A. (1988). *Kitab al-'Ibar wa Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Ayyam al-'Arab wa al-'Ajam wa al-Barbar wa Man 'Asarahum min Dhawi al-Sultan al-Akbar*. Beirut: Dar al-Fikr.
Ibn Khallikan, A. (n.d). *Wafayat al-'A'yan, wa Anba' Abna' al-Zaman*. Beirut: Dar Sader.
Al-Khazin, A. (1995). *Lubab al-Ta'wil fi Ma'ani al-Tanzil*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Imiyyah.
Al-Mahalli, J., & Al-Suyuti, A. (n.d). *Tafsir al-Jalalayn*. Cairo: Dar al-Hadith.
Mardam Bik, K. (1978). *Shi'r al-A'rab*. Damascus: Mu'assasat al-Risalah.

Mardam Bik, K. (1977). *Kitab al-A'rabiyyat*. Damascus: Mu'assasat al-Risalah.

Al-Marzubani, M. (1965). *Al-Muashah fi Ma'akhith al-'Ulama' ala al-Shu'ara'*. Cairo: Al-Matba'ah al-Salafiyyah.

Ibn Manzur, M. (1994). *Lisan Al-'Arab*. Beirut: Dar Sader.

Al-Mughrabi, A. (1929). Fusaha' al-A'rab. *Majallat al-Majma' al-'Ilmiy al-Arabiy*, 3(9).

Al-Mbaydin, M. (2003). *Al'a'rabiy fi al-adab al-'arabiy min al-Jahilyyah hatta Nihayat al-Qarn al-Thalith al-Hijriy. PhD Thesis*, Jordan, Yarmouk University.

Ibn al-Nadim, M. (n.d). *Al-Fihrist*. Cairo: Al-Maktaba Al-Tawfiqiyyah

Al-Qifti, A. (1952). *Inbah al-Ruwah Ala A'lam al-Nuhah*. Cairo: Dar al-Kutuba al-Misriyyah.

Ibn Sa'd, M. (1990). *Al-Tabaqat Al-Kubra*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Imiyyah.

Al-Shalqani, A. (1982). *Al-A'rab al-Ruwah*. Tarablus: Public Facility.

Sibawayh, A. (2004). *Al-Kitab*. Cairo: Maktabat al-Khanji.

Al-Sirafi, H. (1955). *Akhbar al-Nahwiyyin al-Basriyyin*. Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons.

Al-Suyuti, A. (1986). *Al-Muzhir fi 'ulum al-Arabiyyah wa Anwa'iha*. Beirut and Sidon: Al-Makjaba al-Asriyyah.

Al-Suyuti, A. (n.d). *Al-'Iqtirah fi 'Ilm 'Usul al-Nahw*. Aleppo, Syria: Dar al-Ma'arif.

Al-Tabari, M. (2000). *Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an*. Beirut: Mu'assasat al-Risalah.

Abu al-Tayyib, A. (n.d). *Maratib al-Nahwiyyin*. Cairo: Maktabat Nahdat Misr.

Al-Zajjaji, A. (1983). *Majalis al-'Ulama'*. Cairo: Maktabat al-Khanji, and Al-Riyadh: Dar al-Rifa'i.

Al-Zubaydi, M. (1984). *Tabaqat al-Nahwiyyin wa al-Lughawiyyin*. Cairo: Dar al-Ma'arif.